

المقابر فى بلاد المغرب القديم خلال العصر الرومانى

تشير الدراسات أن سكان بلاد المغرب القديم عرفوا الدفن ابتداء من العصر الحجري القديم المتأخر تشير إليه مواقع (آفالو بورمال) بالقرب من بجاية بالجزائر، و(تافورالت)، و(إفري نبارود) بالمغرب الأقصى. أصبح الموتى مع العصر الحجري يدفنون فى إطار معالم جنائزية محفورة داخل الأرض، أو فى حفر مغطاة بحجارة، ثم تطورت هذه المعالم على شكل مقابر ذات تسميات مختلفة ، وتمثل المقابر الجنائزية ببلاد المغرب القديم دليلا على اهتمام سكان المنطقة أثناء هذه الفترة بدفن موتاهم ، والتي تعددت شكلا ونوعا حسب كل منطقة وفترة زمنية ، ويمكن عرضها على النحو التالى:

المغارات

يمكن التمييز بين نوعين من المغارات التي استخدمها سكان بلاد المغرب القديم ، منها المغارات الطبيعية التي لم يتدخل الإنسان في تهيئتها ، والثانية مغارات صناعية.

تمّ العثور على مجموعة من المغارات الطبيعية بالجزائر بكل من جبال المرجاجو- وهران- ، مثل مغارة الكوارتل ، البوليغون ، ومغارة (سكان الكهوف ، ومغارة وادي قدارة غرب وهران، ومغارات الجزائر، وقسنطينة، وبني سغوال، وسعيدة، وبريزينا، وملجأ (تيوت) بالأطلس الصحراوي، والكهف الأحمر، ولمزوري بنواحي تبسة، وموقع (آفالو بورمال) بالقرب من بجاية، هذا الأخير الذي يعتبر من المواقع المهمة التي احتوت على بقايا عظام بشرية تعود للعصر الحجري القديم المتأخر، مما يدل على أنتشار فكرة دفن الموتى ، ووجود طقوس جنائزية مصاحبة للدفن.

• كشفت الحفائر الأثرية عن مجموعة من المغارات الطبيعية بالمغرب الأقصى، مثل مغارة (دار السلطان ١ و ٢)، ومغارة (الهرهورة)، و(العالية)، و(المهريين)، ومغارة الحمام بـ (تافوغالت) التي توجد في قلب سلسلة جبال بني يزناسن شرق جبال الرّيف التي عثر بها على حوالي ١٨٠ هيكل عظمي في وضعيات دفن مختلفة، مدفون معها أثار جنائزي، وملونة باللون الأرجواني، هذا اللون الذي وجد أيضا داخل مجموعة من المغارات تعود للعصر الحجري الحديث، منها مغارة الداموس الأحمر، وجبل فرطاس، وعلي باشا، والعروية .

• عرف المغرب الأقصى في عصور ما قبل التاريخ على مجموعة من مغارات الدفن الطبيعية التي سبقت العصر النيوليتي بكل من تازة، وكيفان بلغوماري، ورأس سبارتل، عثر بداخلها على هياكل عظمية ، كما احتوت مغارة سيدي أحمد الحبيب ببركان بالمغرب الأقصى ،اكتشف بها هيكل عظمي.

- وجدت بتونس مجموعة من المغارات تعود لما قبل التاريخ كمغارة كاف العقاب شمال غرب جندوبة، وكاف القرية بين مدينةمكثر، وحفوز، وماوى الرديف بالجنوب الغربي التونسي.
- إحتوت هذه المغارات على هياكل عظمية وأثاث جنائزي. وتمّ الكشف عن هيكل عظمي داخل مغارة بجاية ، عثر معه على أثاث جنائزي بدائي، يتكون من عقد مرجان، وحجر كريم، وقراط فضي، وأفرزت الحفائر عن هيكل عظمي آخر أثناء عملية استغلال محجر، دفنت معه حلي مزخرفة برسومات هندسية.
- تم الكشف عن مغارة لمومياء بحيرة التليجان التي تأكد أنها تكون قد تحنطت بفعل العوامل الطبيعية داخل هذه المغارة التي استغلّت في عملية الدفن ، وتبقى المغارات الإصطناعية- من بين أهم المدافن التي استخدمها سكان بلاد المغرب القديم لدفن موتاهم، من بينها مغارة بالقرب من (سيلا -Sila) بالجزائر.

الحوانيت

- يصنّف هذا النوع من المدافن ضمن الفترة المبكرة، وأصل كلمة "حانوت" يعني دكان، أطلق هذا اللفظ على المقابر التي كانت تحت على المنحدرات الصخرية، والأخرى المنحوتة داخل المغارات، أو على الصخور المنعزلة مثل حوانيت (منبع عين القصر)، و(سيدي عباد) بتونس كما نجد بعضها مصطفة.
- يفترض البعض من الباحثين أن أصولها فينيقية- بونية، للتشابه بينها وبين حوانيت الفترة المبكرة، باستثناء فرق وحيد، أن هذا النوع من المقابر كان يحفر أسفل الأرض عند البونيين، في حين كانت حوانيت الفترة المبكرة تحت على الصخور السطحية، وأكد أصحاب هذا الرأي أنها قد أنتشرت بكثرة بالقرب من مناطق السكن وبالأخص منطقة قرطاجة وكركوان.

مقابر الحوائيت



• موضوع الأثاث الجنائزي وطرق الدفن داخل الحوانيت ببلاد المغرب القديم إحدى المفاتيح الأساسية للكشف عن عقائد ما بعد الموت، فالدفن بها يبيّن أن الميت كان يدفن في وضعيات مختلفة، منها الوضعية المنطوية، التي ترمز لرغبة واعتقاد الإنسان بالبعث الجديد، لأنها تصوّر الميت إلى حد كبير مثل الجنين يبطن أمّه. إلى جانب ذلك أنتشرت الوضعية الممددة، بينما الدفن الثانوي كان يتم بعد تجريد الجثة من لحمها بواسطة عرضها في الهواء الطلق عرضة للحيوانات كالطيور الجارحة، وعوامل الطبيعة، ثم تجمع العظام، وتدفن داخل فخاريات، وزودت بعضها بقتوات لإراقة السوائل لكن تعرض الحوانيت للنّهب، وإعادة استخدامها في الدفن أثناء الفترات التاريخية القديمة .

التمولوس

- شكلها مخروطي وقاعدتها دائرية تتكون من الحجرة والأترية التي كانت تغطي حجرة الدفن، فمنه الخالي من الحجرة الجنائزية، وآخر يضم تابوتا حجريا.
- كانت تضم حجرات دفن جماعية، وأخرى فردية، وعرفت بعدة أسماء منه: " الرّجم "، و" الكركور" ، كان يدفن الميت بداخلها على طوله، أو على جانبيه، ويرفق بالأثاث الجنائزي، كما يبدو أنها تطورت مع أواخر فجر التاريخ إلى مقابر ضخمة عرفت بالبازينا.ومن بين أهم الإكتشافات الخاصة بهذا النوع من المدافن على سبيل الذكر لا الحصر تلك التي عثر عليها بالشرق الجزائري في كل من سفيان بالقرب من نقاوس بباتنة .

عثر على هذا النوع من المقابر في المزورة بالمغرب الأقصى،
ومجموعة أخرى بتافيلالت، ومنطقة وجدة، وفم لرجم ، وبنواحي
(عيون سيدي ملوك) بالمغرب الشرقي ، وبلغ أنتشارها حتى
الجنوب التونسي ، كما وجدت في فزان بليبيا .

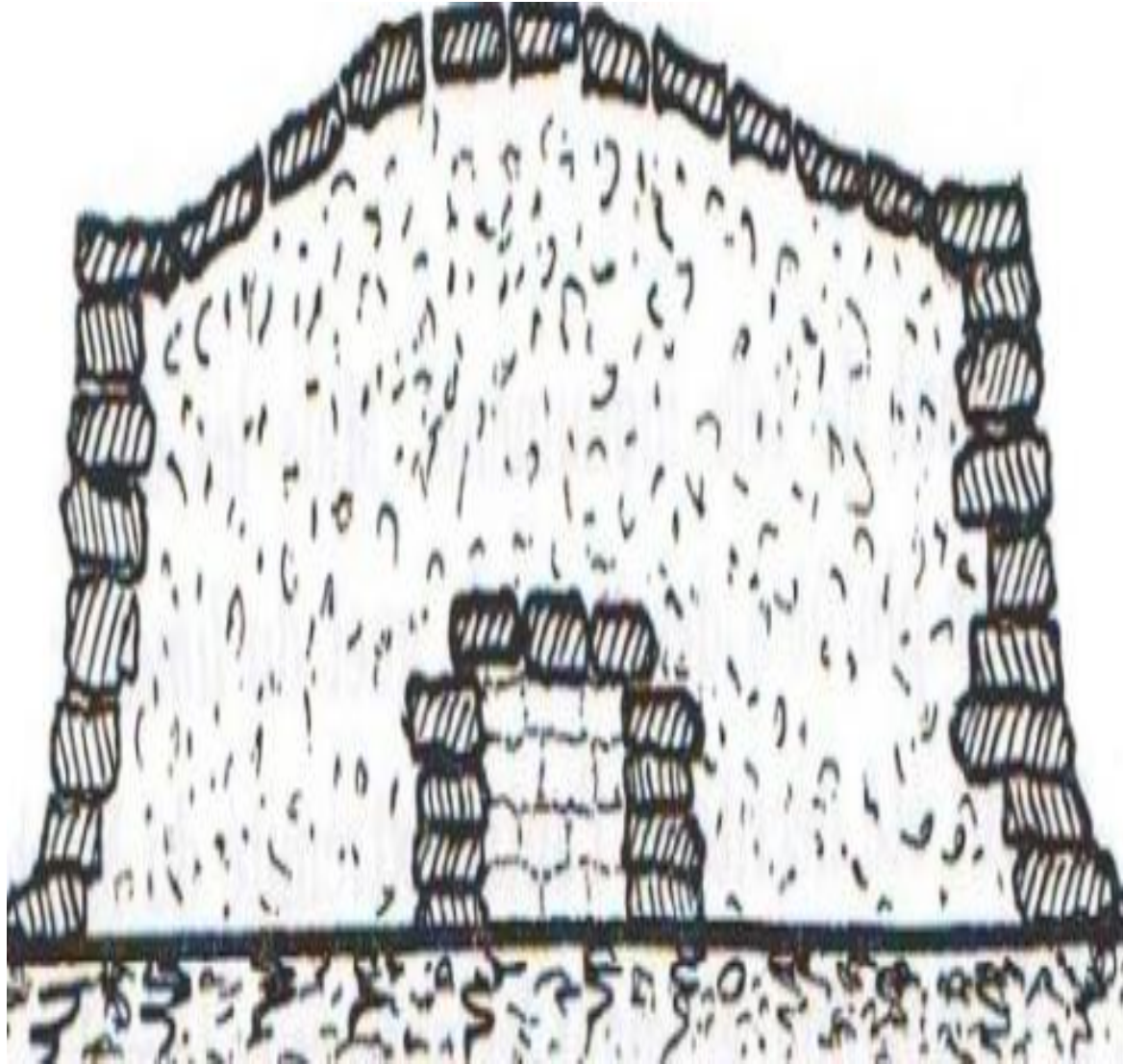
دفن بداخلها إلى جانب الميت، مجموعة من الأثاث الجنائزي، كقشور
بيض النعامة التي كانت لها أهمية كبيرة في حماية الاموات ،
وحلي من العاج ، وبقايا معدنية، ففي جرف التربة بنواحي بشار
بالجنوب الغربي الجزائري، كشفت الحفائر داخل (تيمولوس) على
جداريات مزخرفة باللون الأحمر لأشخاص مصطفين يرتدون
ملابس رومانية، وعلى لوحة ثانية تظهر أحصنة تشبه ذيولها
أجنحة الطائر، وجدت بجانب الجثة داخل المقبرة ، قاعدة مستطيلة
تشبه موائد تقديم القرابين، ويحتمل أن يكون وجودها مرتبطا
بطقس تطهير الروح، وطرد الأرواح الشريرة.

البازينا

سميت بالجنثوات المتطورة، وتتميز عن التومولوس بمظهرها الخارجي الهندسي المتطور ، ويمكن تعريف (البازينا) أنها في الأصل (تيمولوس) مغطاة خارجيا .

كانت كثيرة الأنتشار بالشرق الجزائري، من أهمها بزينات تيديس غرب قسنطينة، وبونوارة بالجزائر، وكذلك بالمغرب الأقصى، إحتوت بداخلها على أثاث جنائزي متكون من الأواني الفخارية المزخرفة برسومات ، وبحروف ليبية قديمة، وبأشكال هندسية، ونباتية، وحيوانية، أراد أصحابها أن يبينوا مختلف المظاهر الكونية، والحيوانية كالشمس، والعصافير، هذه الأخيرة التي بدت محلقة في السماء، والمثلثات التي تمثل شكل الجبال، تبدو مرتكزة على شريط، في صورة ماء جاري، وجريد النخيل، فبواسطة وسائل بسيطة استطاع الفخاري تمثيل العناصر الأربعة الأساسية للطبيعة: الماء، الأرض، النار، الهواء.

مقابر البازينا



الدولمن

مصطلح "دولمن" يتركب من كلمتين (دُلْ) يعني المائدة، و(مَنْ) بمعنى الحجر، وتبدو كنصب جنائزية تتشكل من بلاطات حجرية أفقية قد ارتكزت على دعائم عمودية، للإشارة لمقابر منطقة الجلفة بالجزائر، ثم شاع استعمالها من طرف باقي الباحثين.

هي مقابر حجرية مثبتة فوق سطح الأرض، تتكون من ثلاثة أعمدة حجرية تعلوها حجرة، فتبدو في شكل المائدة. ويرى ريمون بأنها نصب جنائزية مكوّنة من كتل حجرية أفقية.

كانت دولمينات بلاد المغرب القديم ذات أحجام صغيرة، أعدت في البداية للدفن الفردي، ثم تطورت لتصبح مدافن جماعية، ذات أحجام كبيرة يتجاوز طول بعضها من ثلاثة إلى خمسة أمتار، مما يدل على ممارسة بداخلها طريقة الدفن الممددة، واستمر الدفن بها أثناء الفترة النوميديّة والبنونية، إلى العصر الروماني.

مقابر الدولمن



الدولمينات قليلة الأنتشار بالغرب الجزائري، إذ وجد البعض منها بكل من سعيدة، ومشرع الصفا - تيارت-، وبمناطق أخرى مثل الجلفة، وجنوب النمامشة، وبني مسوس، والمدية، كما أنتشرت بتونس في كل من مكثر، ودقة، وأنفيدة. بينما كانت نادرة بالمغرب الأقصى في حين تعرضت غالبيتها للنهب والتخريب.

تغيرت وضعية اتجاه الأواني الفخارية داخل المقابر الدولمينية، فكانت توضع عموديا، أو تثبت بحجارة، كما وضعت مائلة مثلما هو الحال بعدد من دولمينات جبل مزيتا، ووجدت الأواني مقلوبة، للدلالة على توفير السوائل للأموات، وبالأخص الماء الذي يعتبر أساسيا في مختلف العقائد والديانات، لأنها المادة الحيوية التي يحتاجها الأموات، تخلصهم من العطش، ويشير كل من (قوبير ، وسينتاس أنه في كل حجرة جنائزية قد وضعت أمفورة كبيرة، وإلى جانبها وجدت أواني للشرب.

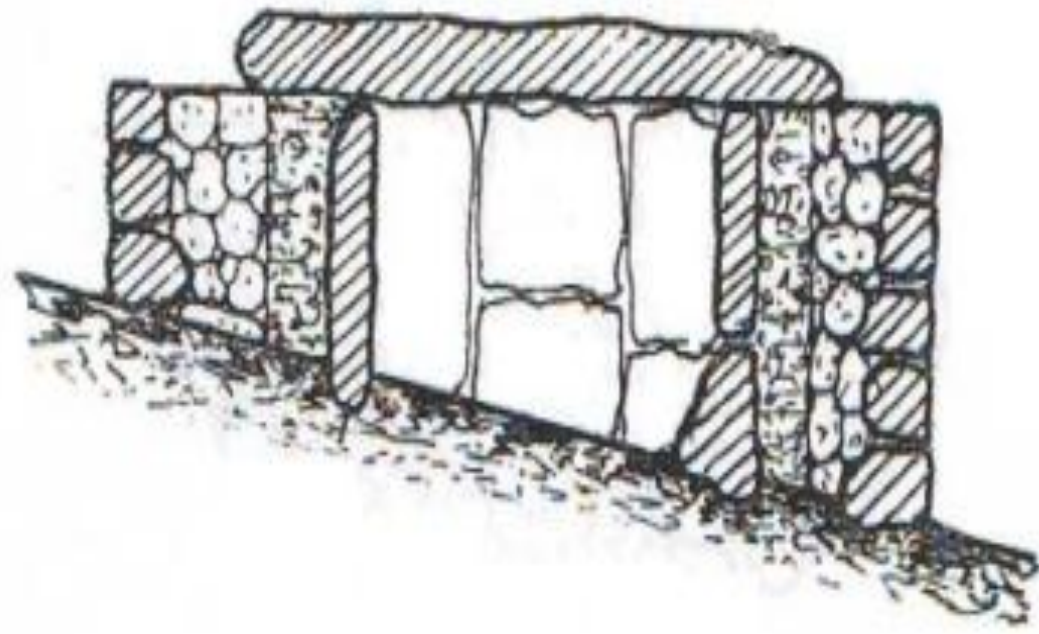
الدوائر الحجرية

- هي مقابر محاطة بسياج دائري مكون من الحجارة ، استخدمت لأغراض طقوسية ، أو لحرق المتوفى ، أو عند عرض جثته قبل الدفن ، أنتشرت بالجزائر في شمال الحضنة ، والأوراس ، وسطيف ، وقصر الشلالة ، وعلى امتداد مجرى وادي تاغية بين سعيدة ومعسكر، وبمنطقة تلاغ - سيدي بلعباس- تنوعت مجالات استخدامها ، كاستعمالها عند عرض جثة الميت قبل دفنها ، أو استغلالها كمحرقة ، لذلك لا يمكن فصل استخدامها عن دائرة الطقوس الجنائزية التي ارتبطت بالموت ، والعالم الآخر.

القبور القلاعية

• هي قبور دائرية شبيهة بالأبراج، يبلغ ارتفاعها ما بين ٢ إلى ٣ أمتار، وقطرها يتراوح ما بين ٣-٥ أمتار ، أنتشرت بالشرق الجزائري ، ووسط الصحراء ، ومنطقة الأوراس ، وبمرتفعات الحضنة ، وصحراء التيبستي بليبيا ، كانت تشبه إلى حدّ ما مدافن الدولمينات ، إحتوت بداخلها على هياكل عظمية لأموات في وضعيات دفن مختلفة ، منها المنطوية ، والمنكمشة ، وهياكل أخرى تكون قد جرّدت من اللحم قبل دفنها ، زيادة لأثاث جنائزي متنوع رافق المتوفى ، يوحي بإيمان هذا ، أو ذاك المتوفى بالحياة في العالم الآخر.

مقابر المقابر القلاعية



• هي مقابر ميّزت فترة فجر التاريخ ، وتتميّز بقلّة أنتشارها ، ويمكن تحديد مناطق أنتشارها بالغرب الجزائري، ووسطه، وبالمغرب الأقصى، عثر عليها بـ كليبار - سيدي بن يبقى- احتوت بداخلها على أثار جنائزي فخاري، ومعدني، وهيكليين عظميين في وضعية قرفصاء. و دفن بها بكل من سيدي مسعود بفاس، وأولاد ميمون شرق تلمسان بالجزائر ، فهي توحى بوجود إعتقاد يجعل من الميت داخل مدفنه مثل الجنين في بطن أمّه .

• وما يستخلص من نتائج الحفائر الأثرية بهذا النوع من المقابر ، وجود بقايا فخارية ، وأسلحة ، وحلي ، وقشور بيض النعامة ، إلى جانب التنوع في وضعيات الدفن ، وآثار شعيرة تجريد الجثة من اللّحم ، وخلط العظام مع بعضها البعض ، وبقايا اللون الأحمر، مما يؤكد على وجود بعد عقائدي الغرض منه الخلود، والحياة في العالم الآخر .

مقابر المطامر

